من لطائف البيان في بلاغة القرآن

د . عوني أحمد محمد

جامعة تيارت ـ الجزائر

كان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن التقت جملة من الدوافع والأسباب لكي تهيئ لوضع قواعد علوم البلاغة والنقد والبيان وصدقت الحكمة العربية (رب ضارة نافعة) وملخصها دعوة ابراهيم النظام صاحب مذهب(الصرفة) حيث ادعى من خلاله أن القرآن الكريم ليس معجزا بفصاحته وبلاغته، وأن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله، لكن الله تعالى صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه، وتأييدا لرسوله.

لذا انبرى للرد عليه جم غفير من العلماء على رأسهم الجاحظ ومعه والباقلاني وإمام الحرمين الإمام الجويني والفخر الرازي فبينوا خطل رأي النظام وفساد مذهبه فكانت علوم البلاغة من خلال دفاع هؤلاء العلماء وتصديهم لمذهب الصرفة، يضاف إلى ذلك عاملان ساهما في نشأة علوم البلاغة والنقد و يتمثل ذلك في المناظرات التي جرت بين أئمة النحو واللغة أنصار الشعر الجاهلي وبين أنصار الشعر المحدث وما احتج به كل فريق دفاعا عن رأيه فساهم ذلك فيما عرف باللطائف والطرائف.

ثم كان ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه في بيان بعض وجوه تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة وينال قسطه من الفصاحة وانقسم هؤلاء إلى فريقين ، ففريق مال إلى رصين القول الجامع بين العذوبة والجزالة، وفريق أولع بالمنمق الموشى المرصع بصور البديع.

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة إلى أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون إليها عند الاختلاف، وتكون دستورا للناظرين في آداب العرب منثورها ومنظومها، ونشأ من ذلك البحث في علوم البيان أو علوم البلاغة، وكان من ذلك المجاز بنوعيه، الذي سنسلط الضوء عليه في هذه الدراسة.

عرف العلماء المجاز بأنه استخدام اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة: (المشابهة وهي الاستعارة) و(غير المشابهة وهو المجاز المرسل)مع وجود قرينة تحول دون إرادة المعنى الأصلي.

أ ـ الاستعارة:

الاستعارة هي لون من ألوان التصوير في القرآن الكريم، وهي من أداوت التصوير الطاغية التي يعبر من خلالها عن المعنى الذهني، والحالة النفسية والحادث المحسوس، فهو يعمد إلى هذه السورة التي رسمها فيعطها ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد أن يضيف إليها الحركة فالحوار فإذا هي شاخصة تسعى[1].

إن إحصاء ما ورد في القران منها وإجراءها لا يؤدي إلى الجمال الفني في هذا اللون الفني من التصوير ومن الخير بيان الأسرار التي دعت إلى إيثار الاستعارة على الكلمة الحقيقية، والعدول من الحقيقة إلى المجاز، فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المعنى للعين وتنقل الصورة إلى الأذن، وتجعل الأمر المعنوي محسوسا ملموسا وحسبنا أن نقف عند بعض هذه الألفاظ المستعارة الموحية ونبين سر اختيارها[2].

قال سبحانه وتعالى: **(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور وجمعناهم جمعا)**[3] فكلمة (يموج) لا تقف عند حد استعارتها لمعنى (الاضطراب) بل إنها تصور للخيال هذا الحشد الزاخر والجمع الكبير من الناس، احتشادا لا تدرك مداه العين، حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر، ترى منه العين ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب[4].

و قال سبحانه وتعالى: **(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)**[5] وهنا لا تقف الكلمة عند معنى (انتشر) فحسب ولكنها تحمل معنى دبيب الشيب في الرأس ببطء وثبات كما تدب في الفحم مبطئة، ولكن في دأب واستمرار، حتى إذا تمكنه من الوقود، واشتعلت في قوة لا تبقي ولا تذر، كما يحرق الشيب بعضا من شعر الشباب، حتى لا يذر شيئا إلا التهمه وأتى عليه، وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس ما يوحي بهذا الشمول الذي التهم كل شيء في الرأس[6].

وقال تعالى (**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون**)[7] فكلمة (نسلخ) تصور للعين انحسار الضوء عن الكون، قليلا ودبيب الظلام إلى هذا الكون في بطء وحتى إذا تراجع وظهر ما كان مختفيا في ظلمة الليل.

وكثر في القرآن أخذ الكلمات الموضوعة للأمور المحسوسة يدل بها على معقول معنوي يصبر به كأنه ملمس مرئي فضلا عن إيحاءات الكلمة إلى النفس لنأخذ مثلا قوله تعالى (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**)وكلمة (يدمغه) توحي بتلك المعركة التي تنشب بين الحق والباطل حتى يصيب رأسه ويحطمه فلا يلبث أن يموت، ولنتأمل قوة التعبير بالظلمات والنور يراد بهما الكفر والإيمان في قوله تعالى: (**أ لر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**)[8] وجمع (ظلمات) يصور لنا إلى أي مدى ينبهم الطريق أمام الضال فلم يهتد إلى الحق وسط الظلال المتراكم.

ولنتأمل جمال (الإفراغ) وهي توحي باللين والرفق في قوله تعالى: (**ربنا أفرغ علينا صبرا**)[9] فجمال هذه الكلمة له ما يثيره في النفس من الطمأنينة التي يحسها من هدأ جسمه بما يلقى عليه، وهذه الراحة تشبهها تلك الراحة النفسية، ينالها من منح هبة (الصبر الجميل) ومن الدقة القرآنية في استخدام الألفاظ المستعارة أنه استخدام (أفرغ) وهي توحي كما قلنا بالرفق واللين عن حديثه عن الصبر و هو من رحمته، فإذا جاء إلى العذاب استخدم كلمة (صب) فقال تعالى: (**فصب عليهم ربك سوط عذاب**)[10] وهي مؤذنة بالقوة والشدة معا.

وقد اشتد الأمر المعنوي وضوحا في النفس ويكون لديها قوة تسمح بأن يكون أصلا يقاس عليه كما نرى ذلك بقوله تعالى: (**إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية**)[11] فهنا كان الطغيان المؤذن بالثورة والفوران أصلا يشبه به خروج الماء من حده لما فيه من فورة واضطراب وعلى هذا النسق جاء قوله تعالى : (**وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية**)[12] فهذه الريح المدمرة يشبه خروجها عن حدها العنف والجبروت[13].

وقد يجسم القرآن المعنى ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثليه في النفس وذلك بعض ما يعبر عنه البلاغيون "بالاستعارة المكنية" ومن التجسيم قوله تعالى: (**ولما سكت عن موسى الغضب ألقى الألواح**)[14] ألا نحس بالغضب وكأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة، ثم سكت وكف عن دفعه وتحريضه، ومن تعقيل الجماد في قوله تعالى: (**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبيس المصير، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**[15] فهذا التميز من الغيظ يشعر بشدة ما جناه أولئك الكفرة حتى لقد شعر به واغتاظ منه هذا الذي لا يحس[16].

ومن الأمثلة السالفة الذكر نرى أن سر هذا الجمال الفني في الاستعارة القرآنية إنما يعود إلى نهج جديد ترسمه الاستعارة في القرآن وأهم العناصر التي جسدت جمال الاستعارة في القرآن الكريم:

1- اختيار الألفاظ المؤتلفة والمتنافسة مع بعضها ومعانيها: ونلمس ذلك في قوله تعالى (**ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**)[17] فعندما نتأمل هذه الآية نجدها قد ضمنت استعارات أربع منها استعارة القرية للأهل، واستعارة الذوق في اللباس، واستعارة اللباس في الجوع والخوف، وهذه الاستعارات كلها متلائمة متناسبة، فالرغبة في الرزق يتبعها ما يلائمها من الجوع والخوف، وقد يحتاج الأمر إلى التريث يدرك به روعة هذا التعبير فقد يبدو أن الحال تقتضي أن يقال فألبسها الله لباس الجوع، وأن الجوع يكسو صاحبه بثياب الهزال والغنى والشحوب فآثر (الذوق) هنا لأن الجوع يشعر به ويذاق[18].

2- استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأمور الحسية في الدلالة على الأمور المعنوية: فتصبح الثانية ملموسة محسوسة كما في قوله تعالى (**والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**)[19] فقد استعملت لفظة (الأودية الموضوعة أصلا للدلالة على المنخفض بين مرتفعين في الدلالة على الأغراض الشعرية التي مقرها الأفئدة، فتحولت هذه المعنويات الفكرية المجردة إلى

أودية سحيقة وقد اختار القرآن لفظة (الأودية) لما بين الفكر والوادي من تناسب في العمق والبعد والخفاء والغموض.

وهناك منهج آخر سلكته الاستعارة القرآنية حين خرجت عن أسلوب المدح الذي عرفت به في شتى ضروب الأدب وسلكت "سبيل التهكم" إذا اقتضت الحاجة ذلك ونحن نقع على شيء من هذا في معرض الحديث عن المنافقين والمشركين في ألفاظ تدل على المدح في نقيضها من المعاني التي تحمل الذم والإهانة والسخرية اللاذعة كقوله تعالى في معرض التهكم **(فبشرهم بعذاب أليم)**[20] فهنا يقول جل شأنه "بشرهم" ونحن نعلم أن البشارة في الأمور المحمودة والسارة للمرء، وهنا توعدهم وأنذرهم بالويل وسوء العاقبة[21] وكذلك في قوله تعالى **(وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما)**[22] وضع "بشر مكان أخبر تهكما بهم.

وفي قوله تعالى **(ذق إنك أنت العزيز الكريم)**[23] إنما هو في النار الذليل المهان لكنه خوطب بما كان يخاطب به في الدنيا، وهذا ضرب من التبكيت له والتذكير بسوء فعله وهناك من فسر الصورة السابقة على أنها مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان[24].

وقد قام السكاكي بتقسيم الاستعارة باعتبار المستعار إلى خمسة أقسام:

أ/ – استعارة محسوس لمحسوس للمشاركة في أمر عقلي مثل قوله تعالى **(واشتعل الرأس شيبا)**[25].

ب/ – استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر عقلي مثل قوله تعالى **(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)**[26].

ج/ – استعارة معقول للمشاركة في أمر عقلي مثل قوله تعالى **(من بعثنا من مرقدنا هذا)**[27].

د/ – استعارة محسوس لمعقول للمشاركة في أمر عقلي مثل قوله تعالى **(فأصدع بما تؤمر)**[28].

هـ/ – استعارة معقول لمحسوس لمشاركة في أمر عقلي مثل قوله تعالى **(إنه لما طغى الماء حملناكم في الجارية)**[29].

لكن السكاكي لم يوضح أي هذه الاستعارة أفضل في إيضاح الفكرة وتحسين الصورة، والحقيقة أننا إذ أمعنا النظر في النوع الثاني لوجدناه ألطف من الأول لأن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها والمستعار له كشف الضوء وهما حسيان، والجامع لهما ما يعقل من ترتيب أمر على أمر آخر وحصوله عقب حصوله كترتيب ظهور اللحم على السلخ وظهور الظلمة على الكشف الضوء والترتيب أمر عقلي يدعو إلى إعمال الفكر وإشغال الخيال[30].

ويوضح الزمخشري سر بلاغة الاستعارة المكنية قائلا إن تصور المشبه، وتمثيله في الخيال مصورا بصورته يعد سر بلاغة هذا النوع، إذ أن الاستعارة المكنية تكون أكثر أحوالها مظهرا لتصوير الحياة في الجماد أو تصوير المعنى بتجسيدها أو تشخيصها، وهذا اللون من التصوير له تأثير في قوة المعنى وتوكيده فهو يقول في قوله تعالى **(واشتعل الرأس شيبا)**[31] شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه، وأخذ منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الرأس مميزا، ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة[32].

وفي قوله تعالى **(وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)**[33]، ويقول الزمخشري قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن المستغرب على طريق الاستعارة.

ويقول أيضا في قوله تعالى **(وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض)**[34] فقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه، ويشار له الطول كما تستعار الغلظة لشدة العذاب، وأما تعرضه لصور الاستعارة الأصلية فمنه قوله تعالى **(ربنا ولا تحمل علينا إصرا)**[35] فالإصر هو العبء الذي يأصر حامله أي يحسبه، فكأنه لا يستقل به لثقله، وقد استعير للتكليف الشاق[36].

وهكذا كما سبق وأن قلنا فإن الاستعارة هي وسيلة للتعبير عن المعاني الذهنية والحالات النفسية، والحوادث المحسوسة، فهي تعمد إلى هاته الصورة التي رسمناها فتعطيها ألوانها وظلالها لكي تعمل على تشخيصها وكل ذلك بواسطة الحوار والحركة.

ب ـ المجاز المرسل، وهو القسم الثاني من أنوع المجاز:

في قوله تعالى (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**)[37] فاليد هنا دالة على القوة والقدرة، ولأن العقل لا يقبل أن تكون لله يد على وجه الحقيقة (الذات وجود اليد معلوم والكيف مجهول) والمعلوم أن اليد هي العضو الذي يكون به المنح والمنع والبطش والدفع، فهي سبب كل هذه الأفعال فيذكر السبب، فالمجاز هو الصورة الفنية التي نلمحها في هذه الآية وعلاقته السببية والقرينة، "توصلنا بالعقل". وفي بعض الشواهد قد لا يذكر السبب بل يذكر ما ينجر وينتج عن هذا السبب كما في قوله تعالى (**وما أنزل الله من السماء من رزق**)[38] فالرزق سببه المطر والغيث فلم يذكر السبب "المطر" بل ذكر المسبب وهو الرزق والخيرات ففي هذه الآية مجاز مرسل علاقته المسببية.

وفي قوله تعالى (**من يقتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة**)[39] ففي قوله تعالى "تحرير رقبة" ليس المقصود بها ذلك العضو الموجود في الإنسان ، والمنطق والعقل يقتضيان تحرير العبد، فذكر الجزء وهو الرقبة والمراد من ورائه الكل وهو العبد (ذكر الجزء وأراد الكل) ففي الآية مجاز مرسل وعلاقته الجزئية.

وعلى العكس من ذلك، فقد يذكر الكل ويراد من ورائه الجزء، كقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام (**وإني كلما دعوتهم جعلوا أصابعهم في آذانهم**)[40] فهل يستطيع الواحد من أولئك الكفرة أن يدخل أصبعه كله في أذنه لا لأن ذلك مستحيل، وإنما المقصود هنا طرف الأصبع، ما يعرف بالأنمل، فذكر الكل وهو الأصبع وأراد الجزء الأنملة أو طرف الأصبع وهنا المجاز مرسل وعلاقته الكلية.

وفي قوله تعالى (**إنه من يأته مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحي**)[41] فصفة الإجرام التي عليها الكافر، ليست صفة آنية، وإنما يكون اكتسبها في الدنيا، فهي صفة كانت من قبل ومن ثم فإنه مجرم باعتبار ما كان، ففي الآية مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

وخلافا لذلك عندما نقرأ قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام (**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا**)[42] فهل المولود يولد فاجرا، لا بالطبع فالمولود لا يولد فاجرا ولا كافرا ولكنه قد يصبح كذلك عندما يصير رجلا، إذن أطلق المولود الفاجر وأريد به الرجل الفاجر، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، وكذلك في قوله تعالى (**إني أراني أعصر خمرا**)[43] فهل الخمر يعصره لا بالطبع والعقل والمنطق لا يتقبلان ذلك، ولكن العنب عندما يعصر قد يكون خمرا، بعد مروره بعدة مراحل، يكون كذلك خمرا فهذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون.

وفي قوله تعالى (**واسأل القرية التي كنا فيها**)[44] فهل القرية تسأل؟ لا فالقرية مجرد حجارة وبيوت، لا تسمع سؤال ولا ترد جواب وإنما المقصود من كل ذلك يسأل سكان القرية هي المكان الذي استقر به هؤلاء الناس الموجه إليهم السؤال، فهنا مجاز مرسل علاقته المكانية.

وفي قوله تعالى (**إن الأبرار لفي نعيم**)[45] النعيم من المعاني لا يدخل فيه، وإنما يدخل في المكان الذي يكون النعيم حالا فيه وهو الجنة، والمجاز هنا علاقته الحالية.

وكما رأينا في كل هذه الأمثلة فللمجاز أثر كبير في أداء المعنى وبلاغة الأسلوب، ويظهر هذا الأثر في أشكال مختلفة منها التعبير بالمحسوس عن المعنوي، والخفة، والإيجاز، والمبالغة.

ولنقف بعض الشيء على هذه الصور التي يعالجها الزمخشري في كتابه الكشاف: فهو يقول في قوله تعالى (**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**)[46] ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لكنه مجاز عن النظر في أديانهم، والفحص عن مللهم، ومنه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال، وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجني ثمارك، فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا[47].

ويقول في قوله تعالى (**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا**)[48] "اللام" في ليكون هي لام "كي" التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني، ولتكرمني، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة فلم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا، لكن المحبة

والتبني، غير أن العداوة كانت الثمرة التي نتجت عن الالتقاط فصح أن يشبه بها الداعي الذي ينقل الفعل من أجله[49].

ويقول في قوله تعالى (**في قلوبهم مرض**)[50] استعمال المرض في القلوب يجوز أن يكون حقيقة أومجازا، فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض، والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد، والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، والجبن والضعف، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبهت بالمرض[51].

ومن المجاز ما يكون أحد طرفيه حقيقي دون الآخر كقوله تعالى (**فأمه هاوية**) فاسم الأم الهاوية مجازا أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع، وهذا فهم سديد خصوصا إذا وقفنا عند هذا التركيب، ولم نربطه بالنسق القرآني الذي صاحبه، فإذا ربطناه به قرأنا الآيات كلها (**وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ما هيه نار حامية**)[52] تجلى لنا من مجموع المشهد معنى آخر لطيف فالأعمال المعنوية جسمت ووزنت بموازين حسية، فإذا هي حقائق ترفع بها كفة الموازين فلا يقابل خفتها وارتفاعها إلا هاوية سحيقة منخفضة في الدرك الأسفل من النار الحامية، التي لا يكون للمجرم في ذلك الهول أم سواها يلجأ إليها، ويعتصم بها، وساءت ملجأ ومعتصما[53].

ونقف عند الجرجاني وهو يشرح الصورة الآتية في كتابه دلائل الإعجاز فهو يقول في قوله تعالى (**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**)[54] أي لمن كان أعمل قلبه فيما خلق له القلب من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع، والمطلوب منه كما جعل الذي لا ينتفع بسمعه وبصره، ولا يفكر فيما يؤديان ولا يحصل من رؤية ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة، بمنزلة من لا سمع له ولا بصر، فأما تفسيره من يفسره على أنه بمعنى "من كان له عقل" فإنه إنما يصح على أن يكون قد أراد الدلالة إلى الغرض على الجملة فأما أن يأخذ به على هذا الظاهر حتى كأن القلب اسم للعقل كما يتوهمه أهل الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل عن جهته، وذلك أن المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه، وذم من يخل به، ويغفل عنه،

ولا يحصل ذلك إلا بالطريق الذي قدمته وإلا بأن يكون قد جعل من لا يفقه بقلبه، ولا ينظر و لا يتفكر كأنه ليس بذي قلب، وكما يجعل كأنه جماد وكأنه ميت ولا يحس ولا يشعر[55].

ويقول الجرجاني: ألا ترى أنه قدر في "اشتعل" في قوله تعالى **(اشتعل الرأس شيبا)**[56] ألا يكون الرأس فاعلا له ويكون "شيبا" منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا وهكذا السبيل في نظائر إن هذه الضروب من أنواع البلاغة (الاستعارة والمجاز والكناية) لا يمكن أن يكون في الكلم مفردة مثال ذلك قوله تعالى **(ليخرجكم من الظلمات إلى النور)**[57] فمن إجراء الاستعارة في كلمة الظلمات على أنه أصلا شبه الكفر بالظلمات ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به... فلا يمكن أن نتصور هذه الصورة البلاغية لو فصلنا لفظ الظلمات عن الجملة التي جاء فيها، مثل ذلك كل ضروب المجاز كقوله تعالى **(ويجعلون أصابعهم في أذانهم)**[58] أي أناملهم فهذا كمجاز مرسل علاقته الكلية[59].

وفصل الاستعارة على ما شاكلها من الحقيقة، أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة ومن هذا النوع قوله تعالى **(سنفرغ لكم أيها الثقلان)**[60] معناه سنقصد لأن القصد لا يكون إلا مع الفراغ ثم في الفراغ ها هنا معنى ليس في القصد وهو التوعد والتهديد، ألا ترى في قولك سأفرغ لك يتضمن معنى الإبعاد ما لا يتضمن سأقصد لك وهذا قوله تعالى **(وأفئدتهم هواء)**[61] أي لا تعي شيئا لأن المكان إذا كان خاليا فهو هواء حتى يشغله شيء وقولك هذا أوجز عليهم من قولك لا تعي شيئا فالإيجاز فضل على الحقيقة وكذلك قوله **(أعثرنا عليهم)**[62] معناه اطلعنا عليهم، والاستعارة أبلغ لأنها تتضمن معنى غفلة القوم وأصله أمن عثر على شيء وهو غافل نظر إليه حتى يعرفه، فاستعير الإعثار مكان التبيين والإظهار[63].

ومنه قوله تعالى **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)**[64] فاستعمل النور مكان الهدى لأنه أبين، والظلمة مكان الكفر لأنها أشهر وكذلك قوله تعالى **(ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك)**[65] وأصل الوزر ما حمله الإنسان على ظهره ومن ذلك قوله تعالى **(ولكن حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها)**[66] أي أحمالا

من عليهم فذكر الحمل وأراد به الإثم لما في وضع الحمل عن الظهر من فضل الاستراحة، وحسن ذكر إنقاض الظهر[67].

لأن حامل الحمل الثقيل جدير بإنقاض الظهر والأوزار أيضا السلاح ومنه قوله تعالى (**حتى تضع الحرب أوزارها**)[68] وفي قوله تعالى (**ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه**)[69] أي ترخصوا... والاستعارة أبلغ لأن قولك غمض عن الشيء ادعى إلى ترك الاستقصاء فيه من قولك رخص فيه، وكذلك قوله تعالى (**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**)[70] معناه فإنه يباس المرأة وزوجها يباسها...والاستعارة أبلغ[71]

ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة هي أصل الدلالة على المعنى في اللغة ومن ذلك قوله تعالى (**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**)[72] حقيقة "عمدنا"...وقدمنا أبلغ لأنه دل على ما كان من إهماله لهم، حتى كأنه كان غائبا عنهم، ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه والمعنى الجامع بينهما العدل في شدة النكير لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل وأما قوله تعالى "هباء منثورا" فحقيقة أبطلنا حين لم يحصل منه شيئا... والاستعارة أبلغ لأن فيها دلالة القهر لأن الطغيان علو فيه غلبة وقهر.

وكذلك قوله تعالى (**بريح صرصر عاتية**)[73] حقيقة شديدة...والاستعارة أبلغ لأن العتو شدة فيها تمرد، وقوله تعالى (**سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ**)[74] حقيقة الشهيق ها هنا "الصوت الفظيع" وهما لفظتان و"الشهيق" لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان، ولفظة "تميز" حقيقتها تنشق من غير تباين، لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه متباينا لغيره، وهو أبلغ من الانشقاق، لأن الانشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين و"الغيظ" حقيقته شدة الغليان وإنما ذكر الغيظ لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس، ولأن الانتقام منا يقع قدره ففيه بيان عجيب وزخر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة[75].

وقوله تعالى (**ولما سكت عن موسى الغضب**)[76] معناه ذهب لأن فيه دليلا على العودة وموقعها في الغضب إذ تؤمل الحال ونظر فيما تعود به عبارة العجل من الضرر في الدين كما أن

الساكت يتوقع كلامه وقوله تعالى **(ذرني ومن خلقت وحيدا)**[77] وحقيقته ذر بأسي وعذابي إلا أن الأول أبلغ في التهدد.

كما تقول إذا أردت المبالغة والإبعاد ذرني وإياه ولو قال ضربي له وإنكاري عليه لم يسد ذلك المسد، ولعله لم يكن حسنا مقبولا، وقوله عز وجل **(فمحونا آية الليل)** ومعناه كشفنا الظلمة والأول أبلغ لأن إذا قلت محوت الشيء فقد بينت أنك لم تبق له على أثر، وقوله سبحانه وتعالى **(وجعلنا آية النهار مبصرة)**[78] كذلك.

وقوله عز اسمه **(وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)**[79] فالعقيم التي لا تجيء بالولد، والولد من أعظم النعم وأجسم الخيرات، لهذا قالت العرب: شوهاء ولود خير من حسناء عقيم، فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ولم يبق خيرا حين مر سمي عقيما ويمكن أن يقال إنما سمي عقيما لأنه لم يبق أحدا من القوم كما أن العقيم لا يخلف نسلا وسمي الريح عقيما لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره كما أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى وفضل الاستعارة على الحقيقة في هذا أن حال العقيم في هذا أظهر قبحا من حال الريح التي لا تأتي بمطر لأن العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتي بمطر لأن العادة في أكثر الرياح ألا تأتي بمطر وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيما[80].

وقوله تعالى **(وآية لهم الليل نسلخ من النهار)**[81] وهذا الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لا على حقيقة المعنى...لأن الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها، وليس على الحقيقة شيئان يسلخ أحدهما الآخر إلا أنهما في رأي العين كأنهما كذلك والسلخ يكون في الشيء الملتحم بعضه ببعض، فلما كانت هوادي الصبح عند طلوعه كالملتحمة بإعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ فكان أفصح من قوله يخرج لأن يسلخ أدل على الالتحام المتوهم فيها من الإخراج.

وقوله تعالى **(فانشرنا به بلدة ميتا)**[82] من قولهم أنشر الله الموتى فنشروا وحقيقته أظهرنا به النبات إلا أن إحياء الميت أعجب فعبر عن إظهار النبات به فصار أحسن من الحقيقة وقوله تعالى **!**

(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)[83] يعني الحرب فنبه على ماله تخاف الحرب وهو شوكة السلاح وهي حده فصار أحسن من الحقيقة لإنبائه عن نفس المحذور ألا ترى أن قولك لصاحبك لأوردنك على حد السيف أشد موقعا من قولك له لأحاربنك وقوله تعالى: **(وإذا مسه الشر فذروا دعاء عريض)**[84] أي كثير والاستعارة أبلغ لأن معنى العرض في مثل هذا الموضع التمام[85].

مراجع البحث و إحالاته

1- بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القران الكريم ، ص: 204.

2- المرجع نفسه، ص: 204.

3- سورة الكهف 99.

4- المرجع السابق، ص: 204.

5- سورة سورة مريم 04.

6- المرجع السابق، ص: 204.

7- سورة الأنبياء 18.

8- سورة إبراهيم 01.

9- سورة البقرة 250.

10- سورة الفجر 13.

11- سورة الحاقة 11.

12- سورة الحاقة 06

13- بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القران الكريم ، ص: 205.

14- سورة الأعراف 145.

15 - سورة الملك 6-8.

16 - بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القران الكريم ، ص: 205.

17 - سورة النحل 112.

18 - بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القران الكريم ، ص: 205/ 206.

19 - سورة الشعراء 225.

20 – سورة آل عمران 21

21 – بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القران الكريم ، ص: 206.

22 – سورة النساء 138.

23 – سورة الدخان 49.

24 – أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة ، دار المعارف، الإسكندرية 1988، ص: 147.

25 – سورة مريم 04.

26 – سورة يس 37.

27 – سورة يس 52.

28 – سورة الحجر 94.

29 – سورة الحاقة 11.

30 – أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة ، ص: 161/ 162.

31 – سورة مريم 4.

32 – جار الله الزمخشري، الكشاف ، ج2/ 502

33 – سورة القصص 82.

34 – سورة فصلت51.

35 – سورة البقرة 280.

36 – جار الله الزمخشري، الكشاف ج2/ 192.

37 – سورة الفتح 10.

38 – سورة الجاثية 05.

39 – سورة النساء 92.

40 – سورة نوح 07.

41 – سورة طه 74.

42 – سورة نوح 27.

43 – سورة يوسف 36.

44 – سورة يوسف 82.

45 – سورة الانفطار 13.

46 – سورة الزخرف 45

47 – جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4/ 494.

48 – سورة القصص 08..

49 – الكشاف ج3، ص: 192.

50 – سورة البقرة 1.

51 – جار الله الزمخشري، الكشاف ، ج1، ص: 45.

52– سورة القارعة 8–11.

53 – صبحي الصاالح، مباحث في علوم القرآن ، ص: 928.

54 – سورة ق 37.

55 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 282/ 283.

56 – سورة مريم 4.

57 – سورة الحديد 9

58 – سورة البقرة 19.

59 – أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني د–م– الجامعية 7/ 1995، ص: 134/ 135.

60 – سورة الرحمان 31.

61 – سورة إبراهيم 43.

62 – سورة الكهف 21.

63 – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 297–23.

64 – سورة الأنعام 122.

65 – سورة الشرح 2–3.

66 – سورة طه 87.

67 – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 298.

68 – سورة محمد 4.

69 – سورة البقرة 167.

70 – سورة البقرة 187.

71 – سورة الفرقان 23.

72 – سورة الحاقة 11.

73 – سورة الملك 7–8.

74 – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 299.

75 – سورة الأعراف 145.

76 – سورة المدثر 11.

77 – سورة المدثر 11

78 – سورة الإسراء 12.

79 – سورة الذريات 41.

80 – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 299. 300

81 – سورة يس 37.

82 – سورة الزخرف 11.

83 – سورة الأنفال 7.

84 – سورة فصلت 51.

85 – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 301. 302.